المسكوكات وثيقة معبرة عن الاحـداث السياسية زمـن الخليفة هـارون الرشيد

الدكتور ناهض عبدالرزاق دفتر
كلية الآداب / جامعة بغداد

المسكوكة تلك الوثيقة المهمه التي تحمل تأريخها ومكان سكها معها ، وقد لعبت دورا كبيرا في توضيح العديد من الحقائق التي اغفلهـا المؤرخـون وبخاصه السياسيه منها . فقد كانت المسكوكـات احد عنصري مستلزمات الخلافة العباسية . فالعنصر الاول الخطبه التي كانت تذكر اسم الخليفه في اثناء صلاة الجمعة اضافة الى الامور العامة . والثاني هو السكه التي كانت المرآه التي تعكس ما يجري من احداث وصراعات على السلطة . وبالرغم مما تحملة المسكوكة بين طيات نصوصهـا من الشواهد المهمة غـير ان المؤرخين العـرب القدامى والمحدثين عزفوا عن الخوض في غمار هذا الرافد المهم للتأريخ ، الا من تتف ذكرتها كتبهم هنا وهناك . وربما يعود السبب في ذلك للصعوبات التي ترافق مثل هذا الحقل من الدراسه . منها صغر حجم المسكوكه واسلوب الخط والاسماء التي تظهر عليها او اماكن سكها غير المعروفه ـ وخاصة المدن المندرسة ـ اضافه الى صعوبة الوصول الى معرفة دار الضرب . لذلك نجد النقص الفاضح في مكتبتنا العربية لمثل هذا الموضوع اذا ما قورن ببقية كتب التراث الاخرى .

فقد وصلتنا من مدينة السلام عاصمة الخلافه العباسيه مئات الالاف من المسكوكات التي كانت تسك فيها سنويا ولكن للاسف لم نقف لحد الان على اية مخطوطه تكشف عن اسرار سك المسكوكات فيها او اساليب صناعتها .

غير ان بعض المصادر ـ وباقتضاب ـ تحدثت عن المسكوكات التي صدرت عن دور ضرب اخرى ومن فترات زمنيه متأخره بعض الشيء عن عصر الخليفة هارون الرشيد . ومن هذه المصادر ما يلي : ـ

١ ـ البلاذري ، فتوح البلدان (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي) حيث ذكر عن اوزان الدراهم الساسانية والاموية[١] .

٢ ـ الماوردي ، الاحكام السلطانية ، (القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) فقد ذكر الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب بعض المعلومات[٢]

٣ ـ اسعد ابن مماتي ، قوانين الدواوين ، (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) في الفصل التاسع من هذا الكتاب ترد بعض المعلومات عن دار الضرب[٣] .

٤ ـ ابن خلدون ، المقدمه (القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) ناقش بعض المصطلحات المتعلقه بصناعة المسكوكات مثل كلمة السكه والتي عرفها بانها قالب السك[٤] .

٥ ـ المقريزي ، شذور العقود في ذكر النقود . (القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي فقد ذكر الاوزان للنقود العباسيه ، اضافه الى دراسه مسهبه عن النقود المصريه[٥] .

---

(١) احمد بن يحيى البلاذري ـ فتوح البلدان ـ طبعة برل ١٨٦٦ ص ٤٦٥ـ ٤٧٠

(٢) الماوردي ، الشافعي ابو الحسن علي بن محمد البغدادي الاحكام السلطانية القاهرة ١٣٨٦ـ١٩٦٦ ص ١٤٢ـ١٤٦ .

(٣) ابن مماتي ، اسعد قوانين الدواوين ، سوريال ١٩٤٣

(٤) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن جابر ، المقدمة القاهـرة ١٣٤٨/ ١٩٢٩

(٥) المقريزي ، شذوذ العقود في ذكر النقود ـ اخذ عنه الكرملي في كتـابـه (النقود العربية وعلم النميات) القاهرة ١٩٣٩ .

احتوت هذه المصادر بعض المعلومات المتفرقه عن المسكوكات الاسلاميه • غير ان ثلاث مخطوطات ـ حققت مؤخرا • تضمنت معلومات مهمه وواسعه عن صناعة المسكوكات في كل من اليمن ومراكش ومصر وهي : ـ

١ ـ الهمداني ، الجوهرتين العتيقيتين المائعتين الصفراء والبيضاء • (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) وفيه وصف موسع لصناعه الدنانير والدراهم في دار الضرب بصنعاء عاصمة اليمن[٦] •

٢ ـ الحكيم ، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكه • (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) فيه دراسه مهمه لصناعة المسكوكات في دار الضرب بمراكش[٧] •

٣ ـ ابن بعره ، كشف الاسرار العلميه بدار الضرب المصريه (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي) يحتوي هذا المخطوط على وصف شامل لصناعة المسكوكات الاسلاميه بالقاهره خلال الفتره الايوبيه[٨] •

وعلى الرغم مما وفرته هذه المصادر من معلومات مهمه في صناعة المسكوكات الاسلاميه من دور ضرب خارج العراق وبعيدا عن عاصمتها مدينة السلام ابان حكم الرشيد ، لكن هذه الاقطار (اليمن ومراكش ومصر) كانت جزءا من الخلافة العباسية ، فمن الارجح ان تكون دار الضرب في مدينة السلام وماتعتمده من اساليب في صناعة السكه كانت مشابهة لما جاء وصفها في مدن الضرب الاخرى وهذا ماتوكده دراسات مسكوكات مدينة السلام عند مقارنتها بمسكوكات دور الضرب في كل من اليمن ومراكش ومصر •

---

(٦) الهمداني ابو محمد الحسن بن احمد الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء تحقيق كرستفورتول ابصلا / ١٩٦٨ •

(٧) الحكيم ، ابو الحسن بن يوسف ، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة مراكش

(٨) ابن بعرة ، منصور ، كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية تحقيق د. عبدالرحمن فهمي القاهرة ١٩٦٦

واستنادا الى المسكوكات الاسلاميه المتوفره لدينا نستطيع ان نقدم عرضا للاحداث السياسية زمن الخليفة هارون الرشيد وبخاصة في السنوات السبع الاولى من حكمه (١٧٠ـ ١٧٦هـ/ ٧٨٦ـ٧٩٢م) فقد كان عام ١٧٠هـ /٧٨٦م مليئا بالاحداث السياسية . وكان الحكم خلاله مشتركا بين الخليفتين الهادي واخيه هارون الرشيد ، الا ان الخليفة الهادي جعل ولاية العهد لأبنه جعفر (وكان عمره انذاك خمس سنوات) بعد ان عزل اخيه هارون وقد سارع كبار قادة الجيش والشرطة ورجال الحاشية بالمبايعه وتأييده على فعلته .فجاءت المسكوكات من هذه الفترة الحرجه من تاريخ الخلافه العباسية لتعكس هذه الاحداث بدنانير ضربت بهذه المناسبه وهي تحمل اسم جعفر ـ ولي العهد الجديد ـ ونصوصها كما يلي .

مركز الوجه :	**لا اله الا**	مركز الظهر	محمد
	الله وحده		رسول
	لاشريك له		اللـــه
الطـــــوق :	محمد رسول الله		جعفر
	ارسله بالهدى ودين	الطـــوق :	بسم الله ضرب هذا
	الحق ليظهره علــــى		الدينر سنة سبعــين
	الدين كله		ومئة(٩)

وعلينا ان نذكر هنا بخصوص هذه المسكوكه انها الاولى بين الدنانير الاسلاميه التي حملت اسم ولي العهد ، واعتمدت بشكل رئيسي كوسيله للاعلام لاشعار عامة الناس بالتغيرات السياسية والتي كانت بمدلول هذه المسكوكة عزل هارون من منصب ولاية العهد وتنصب جعفرا بدلـه ، ولكن اعقب ذلك مباشرة وفاة الخليفة العباسي الهادي في ظروف غامضة ونصب هارون الرشيد خليفه في نفس الليلة التي توفي بها الهادي وكان ذلك في ١٥ ربيع الاول من

---

(٩) شكل رقم ١ هذا الدينار محفوظ في المتحف البريطاني / مسكوكات الهادي

سنة ١٧٠هـ •وتنعكس هذه الاحداث بسرعه على المسكوكات لتقوم بدورها السياسي والاعلامي ، فقد سك الخليفةالجديد هارون الرشيد وفي اوائل ايام حكمه من نفس العام ١٧٠هـ/٧٨٦م دنانير نقش عليها اسمه وعبارة امير المؤمنين ونصوصها كالاتي : ـ

لا اله الا	محمد رسول الله
مركز الوجه : الله وحده	مركز الظهر : مما امر به عبدالله
لاشريك له	هرون اميرالمؤمنين
الطوق : محمد رسول الله ارسله	الطوق : بسم الله ضرب هذا الدينر
بالهدى وديـن الحـق ليظهـره على	سنة سبعين ومئه(١٠)
الديـن كلـه	

وهنا يجب ان نذكر بان هذا الدينار هو الاول في الدنانير الاسلاميه التي حملتاسم الخليفه ـ غير انالدراهم الفضيةكانت قد حملتاسم الخليفة منذ عام ١٥٨ هـ عندما نقش الخليفة المهدي اسمه عليها •

ان الغاية الرئيسية للخليفة هارون الرشيد من وضع اسمه ولقبه كأمير للمؤمنين كان لغايتين الاولى سياسية لتأكيد سلطته كخليفة للمسلمين ، والثانية اعلاميه لاشعار الناس بان الرشيد هو الخليفه الشرعي وليس جعفر بن الهادي الذي نصبه اباه كوليا للعهد بنفس السنة ١٧٠هـ •

ومن خلال المصادر التاريخية عرفنا مدى العون الذي قدمه البرامكه الى هارون الرشيد وايصاله الى منصب الخلافه ، لذلك احتل يحيى البرمكي اعلى المناصب في الدولة واصبح اولاده الفضل وجعفر من اقرب المقربين للخليفه الرشيد وخاصة الاخير منهما ، فقد ذكر المقريزي عن جعفر البرمكي ما يلي : « فلما صير هارون الرشيد السكك الى جعفر بن يحيى البرمكي كتب اسـمه

(١٠) شكل رقم ٢ هذا الدينار محفوظ في متحف الآثار باسطنبول وهو ضمن مجموعة كنز خضر الياس المكتشف عام ١٨٩٦م في بغداد بجانب الكرخ والذي احتوى على ٣٦٩٢ دينـارا ذهبيا . ونقل الى هنـاك خلال فترة الحكم العثماني للعـراق .

بمدينة السلام وبالمحمديه من الري على الدنانير والدراهم ...... وهارون الرشيد اول خليفة ترفع عن مباشره العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر في عيار الدراهم والدنانير . وكان هذا مما نوه باسم جعفربن يحيى اذهو شيء لم يتشرف به احد قبله[11] .

يتبين من هـذا النص بان الخلفاء قبل هارون الرشيد كانوا يشرفون على دور الضرب بانفسهم وان الرشيد تنازل الى جعفر البرمكي عن هذا الحق فظهر اسم جعفر على الدنانير والدراهم ولم يظهر اسما لغير الخليفة قبل هذا العهد على رأى المقريزي وتكشف المسكوكات حقيقة تناقض ماجاء به المقريزي فلم يكن جعفر البرمكي اول مـن ظهـر اسـمه على المسـكوكات منـذ سـنة (١٧٦هـ/٧٩٢م وحتى سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م) فقد ظهرت اسماء اخرى على الدنانير قبل جعفر وهذه الاسماء هي علي في سنة ١٧٠هـ/٧٨٦[12] ، وموسى في السنوات ١٧١هـ/٧٨٧م و١٧٢هـ/٧٨٨م[13] وعمر للسنوات (١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ هـ/٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠م)[14] وداود في سنة ١٧٤/هـ٧٩٠ م[15] ، وموسى مره ثانية للسنوات ١٧٤ و١٧٥هـ[16] وابراهيم سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م[17] واخيرا جعفر للسنوات ١٧٦ ولغاية ١٨٦هـ حيث قتل بداية عام ١٨٧هـ ولم يظهر اسمه على مسكوكات مدينة السلام بعد ذلك التاريخ . وكانت الفكره السائده عند الباحثين بان هذه الدنانير سكت في مصر وليس في مدينة السلام ـ العاصمه ـ لان الاسماء الوارده عليها لها تشابهه باسماء امراء مصر في تلك الفترة[18] .

---

(١١) المقريزي ، الكرملي ، النقود العربية وعلم النميات القاهرة ١٩٣٩ ص٤٧-٤٨
(١٢) شكل رقم ٣
(١٣) شكل رقم ٤
(١٤) شكل رقم ٥
(١٥) شكل رقم ٦
(١٦) شكل رقم ٧
(١٧) شكل رقم ٨
(١٨) ابن تغربردى ، النجوم الزاهرة جـ٢ القاهرة ١٩٣٠ ص ٦١ ـ ٨٥

الا ان الحقائق التالية تدحض تلك الفكرة وتوكد بان هذه الدنانير كانت قد سكّت في مدينة السلام عاصمة العالم الاسلامي انذاك •

اولا ــ كان الاشراف المباشر لصناعة المسكوكات وخاصة الدنانير للخليفه وحده وكانت هذه الدنانير تسك في المكان الذي يقيم فيه الخليفه ، فيذكر الطبري(١٩) ان الخليفه العباسي المهدي انتقل سنة ١٦٦هـ من عاصمته مدينة السلام الى قصر السلام في منطقه عيساباذ احدى ضواحي مدينة السلام وقد اختلف العديد من المؤرخين في تحديد موقعها ــ وقد سك فيها دراهم ودنانير • وبالفعل فان دراهم المهدي خلال السنوات ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩هـ تحمل اسم قصر السلام كمدينة الضرب وليس مدينة السلام • كما ان دنانير تلك الفتره تختلف بالاسلوب عن الدنانير التي سبقتها وهذا مايوكد الاشراف التام للخليفه على ضرب المسكوكات • وان الدينار الذي يحمل اسم جعفر المضروب سنة ١٧٠هـ والدينار الذي يحمل اسم هرون امير المؤمنين وان كانا لايحملان اسم مدينة الضرب ، لان الدنانير الاسلامية لم تكن تحمل اسم مدينة السك حتى حلول سنة ١٩٨ هـ وهي السنة الاولى من حكم الخليفه العباسي المامون حيث توسعت الدولة الاسلامية فسمح بسك الدنانير خارج العاصمة ــ مدينة السلام • فظهر بعضها تحمل عبارة « ضرب بمصر » او« بالمغرب » او « بالمشرق » •

ثانيا ــ السبب الاخر الذي يدعو للاعتقاد بان تلك الدنانير كانت مضروبة بمدينة السلام وليس بمصر هو ما ذكره المؤرخ المقريزي والذي كان على اطلاع كامل بمسكوكات مصر ، حيث يشير الى أن اسم جعفر ظهر على المسكوكات حين تنازل الرشيد عن حقه بالاشراف على عيار الدنانير والدراهم في مدينة السلام والمحمدية ولم يذكر مصر ، وهذا يزيد في إبعاد مصر من كونها المكان الذي ضربت فيه هذه الدنانير •

---

(١٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك جـ٣ ص ٥٠٢ طبعة برل ١٨٧٩–١٨٨١

ثالثا ـ هناك العديد من امراء مصر لم تظر اسماؤهم على الدنانير امثال مسيلمة بن يحيى الذي تولى الامارہ في مصر سنة ١٧٣/٧٨٩م ومحمد بن زهير الازدي والذي تولى الاماره هناك من ٥ شعبان ١٧٣هـ/٧٨٩م وحتى ١٤ محرم ١٧٤هـ/٧٨٠م ، وعبدالله بن المسيب بن زهير بن جميل الضبي من ١٩ رمضان ١٧٦هـ/٧٩٢م وحتى شهر رجب ١٧٧هـ/٧٩٣م • فاذا كان من مستلزمات الاماره ذكر الاسم على المسكوكات فلماذا اهملت اسماء هولاء الامراء •

رابعاً ـ بالنسبه لبعض الاسماء ، فقد ظهرت في اكثر من مكان كما هي الحال مع داود فقد كان داود بن يزيد اميرا على مصر عام ١٧٤هـ وظهر اسم داود على الدنانير الذهبيه بنفس السنة ، غير ان الاسم داود ظهر على الدراهم الفضيه المضروبه بالمحمديه في ايران سنة ١٧٤هـ ايضا • وظهر اسم جعفر على الدنانير الذهبية وكذلك على الدراهم المضروبه بمدينة السلام سنة ١٧٦ هـ ، وقد ظهر اسم (جعفر بن يحيى) على الدراهم المضروبه بالمحمديه بنفس السنة[٢٠] وليس عندنا اي دليل تاريخي يؤكد ان داود بن يزيد او جعفر البرمكي كانت لهم اية سلطه على المحمدية في ذلك الوقت •

خامساً ـ يذكر المؤرخ ابن الاثير[٢١] ان جعفر البرمكي لم يذهب الى مصرعندتوليته‌عليها ، بل‌ارسل نائباعنه وهو عمر ابن مهران في ٢٨صفر من‌سنة ١٧٦هـ وحتى ١٥ جمادى الاول من نفس العام في حين نجد ان اسم عمر قد ظهر على الدنانير الذهبية للسنوات (١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤هـ) ولم يكن عمر خلال تلك السنوات في مصر • ولم يظهر اسم عمر على الدنانير المضروبه عام ١٧٦هـ والتي كان فيها فعلا موجودا في مصر •

---

(٢٠) Miles, Numismatic History of Rayy. New York 1938 P. 90.

(٢١) ابن الاثير الكامل في التاريخ جـ٦ ليدن ١٨٦٥ ص ٨٥

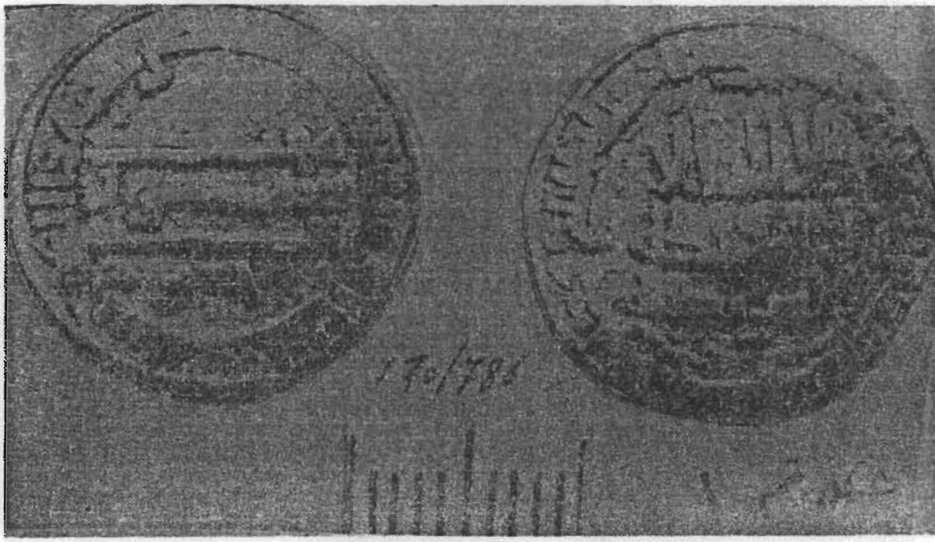
لذلك نرجح ان تكون الاسماء الوارد ذكرها على الدنانير الذهبيه لاشخاص كانت لهم وظائف ادارية في دار الضرب بمدينة السلام آهلتهم لأن يضعوا اسمائهم عليها •

يتبين مما اشرنا اليه اعلاه ما للمسكوكه من اهميه كبيره كوثيقة تاريخية تتوفر عندها شروط الزمان والمكان والحدث • ولكن نشير في نفس الوقت الى تبعثر مجاميع المسكوكات في المتاحف الخاصة والعامة في انحاء العالم ، وهي نقطه جديره بالانتباه والتوقف عندها •

تعرضت المسكوكه العربية الاسلاميه باعتبار ماده صنعها من المعادن النفيسه الى مخاطر كثيره • فقد سرقت كنوز من المسكوكات من المدن والحواضر الاسلامية ، ولانسى في هذا الخصوص الاشارة الى دور الفايكنك في عمليات النهب الواسعه التي تعرضت لها الكثير من المدن الاسلامية الساحليه ، والتي كان من بين المواد التي غنمها الفايكنك كميات كبيره من المسكوكات ، كذلك لعب تجار الاثار والرحاله والسياح وقناصل الدول الاوربية دورا لايقل خطوره عن الفايكنك في نقل وتهريب الاف القطع من المسكوكات العربيه الاسلاميه • وكان نصيب المسكوكات في عمليه شراء ونقل وتهريب الاثار كبيرا بسبب صغر حجمها وسهولة تداولها ونقلها ، يقابل ذلك جهل اهل المدن باهميتها التاريخية والحضارية والفنية ، وانما كان النظر اليها ينطلق من زاوية قيمتها المعدنية فحسب ، مما ساعد على اتتقال المزيد من المسكوكات الاسلاميه الى العالم الغربي •

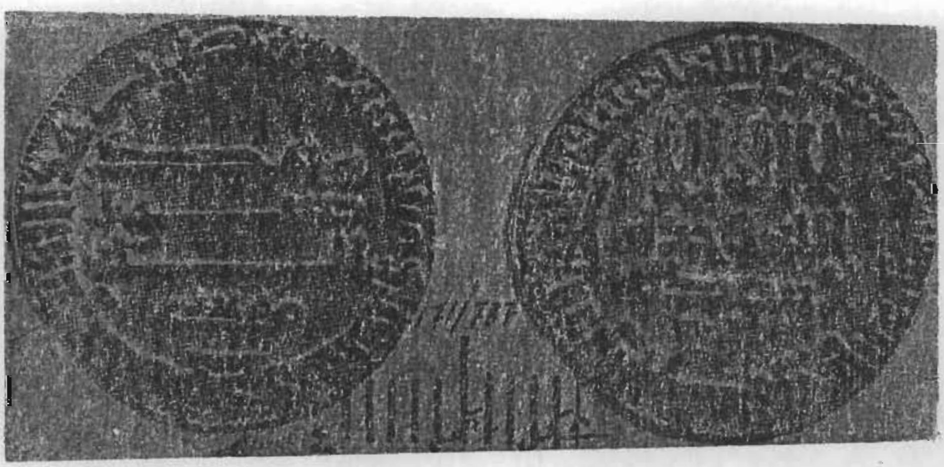
وبالاضافه الى ذلك ، فالمسكوكه العربية الاسلاميه انتقلت بفعل النشاط التجاري الواسع للعرب المسلمين الى مختلف مناطق المعموره • حيث كشفت اعمال التنقيبات في الجزر الاسكندنافيه عن كنوز واسعه من هذه المسكوكات

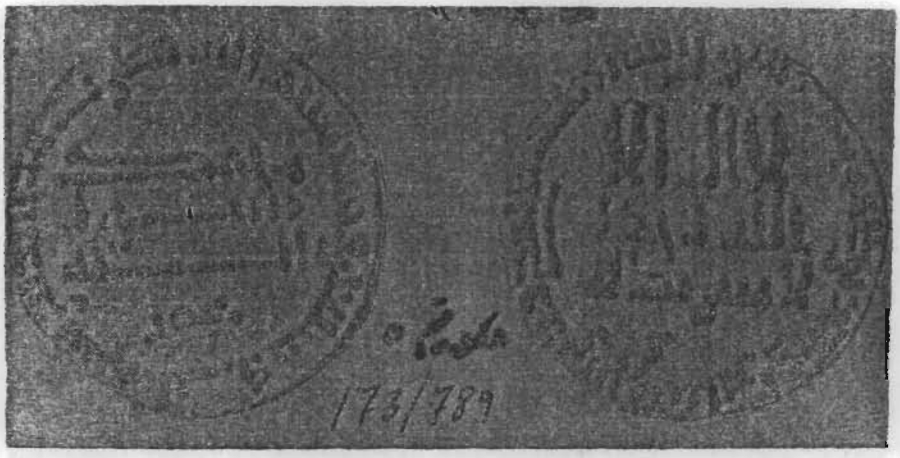
يصل عددها الى ١٣٤ كنزا ، وكان هذامن مكتشفات القرن الماضي فقط ، حيث اعقبه أكتشاف مجموعه اخرى خلال القرن الحالي • ان هذه المجاميع الكبيره من المسكوكات العربيه والاسلاميه والتي تتوزع في معظم دول العالم سواء كانت في متاحفها او ضمن المجموعات الخاصه لبعض الافراد ، تحتاج الى عنايه خاصه من قبل الباحثين ، وبخاصه العرب منهم لانها تمس مباشره تاريخهم وحضارتهم • كما يجدر التنويه بأن اعدادا كبيره من هذه المسكوكات لانعرف عنها سوى ارقام مجاميعها • وهذا يقتضي ـ في اعتقادي ـ السعي بشتى السبل الممكنة لتصويرها على غرار تصوير المخطوطات لتهيئتها امام الدارسين في القطر علما بان عملية تصويرها تكلف اقل بكثير من تصوير المخطوطات وما اثيته في نهاية هذا المقال انما هي دعوة مخلصة للاهتمام بهذا الجانب المهمل من تراثنا العربي الاصيل •



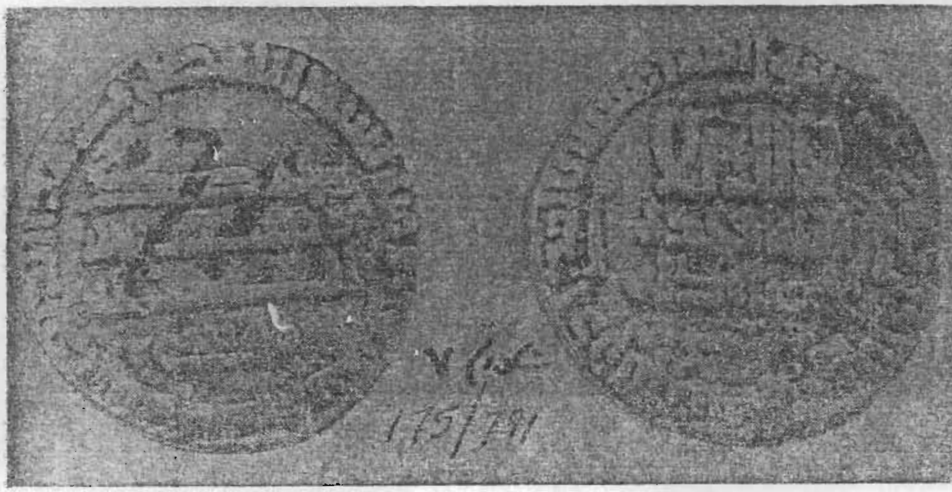



شكل رقم ٣
170/786




173/789


174/790


شكل ٧
175/791


شكل رقم ٨
176/792